

شامةٌ في عُنقي

إيمان موسى عبّيد

الإهداء

إهداء لُحَبِّ الَّذِي رَتَّلَ لِي بِقُدُومِهِ الْحَيَاةَ، الَّذِي عَلَّمَنِي أَنَّ بَعْضَ
الْأَشْيَاءِ تَسْتَحِقُّ الْإِنْتِظَارَ، وَ جَعَلَنِي أُؤْمِنُ بِأَنَّ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ
يَحْضُرُونَ دَوْمًا رُغْمَ غِيَابِ أَجْسَادِهِمْ، لِلَّذِي رَتَّلْتُ نِدَائِيَّ
وَأَرْسَلْتُهَا لِلسَّمَاءِ مُحْمَلَةً بِاسْمِهِ لَكَ أَنْتَ مَنْ وَجَدْتُنِي بِقُرْبِهِ ! يَا
طُمَأْنِينَةً لِكُلِّ ابْتِهَالَاتِي .. أَحَبِّكَ رُغْمَ انْعِدَامِ أَسْبَابِ هَذَا الْحُبِّ
وَرُغْمَ مَتَاعِيَّ وَأَهَاتِيَّ.

المقدمة

أولاً لا أكتب من أجل كلمات المديح ولا يُهمني الشهرة أيضاً
تحت مُسمى كاتبة، لأنني لست كذلك و أنا أحاول فقط
إجهاض الحروف المترجمة في قلبي التي أوحاها لي طيفك على
هيئة كلمات خُطت بجر آثار أقدامك التي خُطت على قلبي
كيسر لنواياي ! ثانياً: أعتذر لِنفاذ الحبر ولكنها ليست ذريعة
للتوقف عن كتابتها، لذا صنعتُ من دمي حبراً لأكتبها بحُب
فأنا مع درويش حين قال:

"لا شيء يُثبتُ أنني أُحبك سوى الكتابة". و أخيراً لطالما تمنيتُ
أن تقرأ هذه الكلمات و نحن نحتسي أكوابنا الشاي سويةً و إن
كُننا نفعَلُ ذلك فتذكر أنني أُحبك كأول مرة .

الآن..!

دونَ وعود، دونَ قيود..

دونَ سماعِ أيِّ موسيقى تخصُّ العاشقين..

من دونِ حضوركِ واكتراثكِ..

وكلماتكِ الغزليّة..

وبينَ الآلافِ الأشخاصِ أيضاً..

ومن بينِ ملايينِ الأفكارِ وعلى مدى الطرقاتِ كُلِّها والبيوتِ

والمِدنِ..

فقطُ أُحبُّكُ بكلِّ عمقٍ دونَ بذلِ كلماتٍ أدبيّةٍ .

في حِيننا الفقير هذا لا أستطيعُ أن أبتاعَ معطفاً يقيّ جسديّ
النّحيل من زمهير الشّتاء، لذلكَ أنا أرتديكَ دوماً فشتاءُ
أضلّعِي قاسٍ، لم تكن معطفاً يرتدينيّ فحسب بل مواساةً في
مرارةِ أيّاميّ لذلكَ أُحبّكَ ولا أريدُ أن أجتازَ حدودَ الحيّ هذا ولا
استبدالكَ أيضاً.

منذُ مدّةٍ لم أُشاهد المباريات..
ولأنّني قفزت مُبتهجة لأوّل هدف..
في مباراة النّادي المدرّبي عرفوا أنّي أُحبّك.

في كُلِّ ليلةٍ أضعُ أحمرَ الشَّفاهِ المِخْمَلِيَّ
وأستلقِيَّ على سَرِيرِيَّ بانتظارِ رسائِلِكَ
التيَّ تصلُّني على هيئةِ قُبلةٍ، قَبَّلني!

أرْكُنُ فناءِيِّ ومُتاعِيِّ كُلِّها جانِباً
وأرْكُضُ حافيةً مُهرولتاً أحاولُ فقط أن أتقاسمَ معكَ مشقَّاتِكَ
كطفلٍ مُتلهِّفةٍ للحلوى، رؤيةً ابتسامتك تُرتل ليّ الحياة.

الصَّلواتُ ذاتُ قَدسيَّةِ أبديةٍ كقدسيَّةِ الجُزءِ من الثانيةِ الَّذي
نقضيه معاً يا قديسيِّ الصَّغيرِ.

تُذَكِّرُنِي فِي خُطَوَاتِي الْأُولَى

دَفءُ حُضْنِ وَالِدِي

ابْتِسَامَةُ أُمِّي

فَرِحْتِي بَعْدَ تَذَوُّقِ الْحَلْوَى الَّتِي أَعَدَّتْهَا أُمِّي

بِإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ..

وَأَتَذَكَّرُكَ فِي أَوَّلِ الدَّعَوَاتِ،

وَطِيلَةَ السَّجَدَاتِ وَ فِي تَلَاوَةِ الْآيَاتِ

فِي أَرْقَةِ الطَّرِيقَاتِ.

كانَ لا بُدَّ من أن أبقى وحيدةً مع أفكاريّ في ذرورةِ هذه الأيّامِ
من دونِ أحدٍ و من دونك أيضاً..

فالمرءُ يحتاجُ هذه العزلةَ كيّ يعلمَ ماذا يُريدُ.

- و ماذا تُريدينَ الآن؟

أريدُكَ أنتَ!



فَاتِحِ شِفَاهَكَ الكَرزِيَّةَ عَلَى مَوْضُوعِ القُبُلَاتِ، فَمَوْعِدُ اقْتِطَافِ
الكَرَزِ عَلَى الأبْوَابِ وَتَغْرِيَّ عَامِلَةٌ مُتَحَاجَّةٌ لِأَمْوَالِ هَذَا الحِصَادِ

دائماً كانت تُراودني أفكارٌ دافئةٌ ك أن أتخذَ خُصلاتِ شعركَ
الحريريِّ سُترةً لزمهريِّ قلبيِّ، أن أصنعَ من أصابعيِّ مِشطاً يُسِّره
ويُبعثُ ضحكاتيِّ.

جفت محبرة قلبي حين كان الشوق يُحاول أن يكتب من أجلك
لذلك انهمرت بالبكاء عسى دموعي تفي بالغرض.

11:11

تَغْرَكَ

مَرْسُومٌ

عَلَى

أَعْقَابِ

سَجَائِرِيَّ، يُثِيرُنيَّ

كُلَّ لَيْلَةٍ

لَأُشْعَلَهَا، مُتَهَيِّتَكَ فِي أَحْضَانِيَّ

فَأُحْرِقُهَا، حَتَّى أَعْفَى مُتَعَبَةً

فِي أَحْضَانِ عُلْبَةِ السَّجَائِرِ الْفَارِغَةِ.

عَيْنَاكَ سَهْرٌ فِي لَيْلٍ مَكْنُونٍ..

عَيْنَاكَ أَمَانٌ لِيٍّ مِنْ بَحْرِ مَجْنُونٍ..

عَيْنَاكَ سِحْرٌ تَلَاشِي فِي الْبَرِّ كَالْفِرَاشِ الْحَنُونِ..

عَيْنَاكَ بَيْتٌ شِعْرٌ لَمْ يَعْرِفِ السُّكُونِ..

عَيْنَاكَ لَوْحَةٌ كَانَتْ مِنْ أَعْقَدِ الْفُنُونِ..

تَسْرِي فِيهِمَا كُويكِبَاتٌ وَمَجْرَاتٌ أَظُنُّ أَنَّهَا الْكَوْنُ...
أَغْرُلُ عُمَقَهُمَا قُبْلًا تُحْيِي نَبْضِي الْمَسْجُونِ...
أَبْكِي بَعْدَهُمَا فِي كُلِّ لِحْظَةٍ كَ قُرُونِ..

قَمْرَانِ، يُنِيرَانِ عَتَمَتِي تِلْكَ الْأُحْوَانَتَانِ الْفَرِيدَتَانِ.

أنا الوَحيدة التي ترى
خلفَ قُضبانِ ابتسامَةِ عَيْنَاكَ
عَجوزاً هَرماً أَنهَكَتُهُ الصَرَخَاتُ
وَحيداً كجذعِ شَجَرَةٍ
وَسَطَ مَقْبِرَةٍ تَبَعَثَتْ
شواهِدَها المَنسِيَّة لِتُربِكني
واجْتَمَعَت العَديد من الفُؤوس حَولها
مُحاولين بَترها
وَكُنْتُ أَنَا ارتعاشاً
وحاضنةً جُذورِها.

شامةٌ في عنقي

كُلما نظرتُ

إلى أخطاءك، آثامك وبرودك

معي، حاولتُ انتشالك مني

لأجلها من ثمّ أفشلُ مُتذكراً

ندوي السّوداء المبعثرة في سمارِ

جسديّ على هيئةِ شاماتٍ اقتطفتُ

كُل أفعالكَ تجاهي ورَسختها

في عمقها على هيئةِ

حبّات هيلٍ وسطَ ذرات

القهوة السمرّاوة.

أَتَسْأَلُ أَنْتَ الثَّنَايَا أَمْ مُوَلِّدَ الحَفَقَاتِ؟! يَا حَفَقَتِي الأَخِيرَةَ

لحظةٌ تشابكِ

رُؤوسنا، أشبُكِ

قلبينا وأغمركِ

بين الثنايا

لتبرعمِ وتنبضِ

من جديدِ،

كأنك تُولدِ

تلك الحفقاتِ.

تقبّلني!!

بِحُطامِ رُوحِي،

بِثُوبِي المِهترَىءِ،

بِبُرودِي، بِموسيقايِ الهادئةِ،

بِمزاجِي المِتقلّبِ، بِعزَلتي، بِفناءِ قَلبي..

تقبّل حُزبيّ وَاكتئابي،

نقصيّ وعُيُوبيّ، بِكاملِ ما يَرُفُضنيّ العالَمُ لِأجلِهِ..

كُنْ ليّ وِطَنٌ وَمَلاذٌ لِابْتِهالاتيّ وَأعدك أن أُحسنَ السّكنَ فيه،

إن لم أكنْ أهلاً للوطنِ حينها يَحِقُّ لكَ التّهجيرُ!

كُنْ ليّ أنتَ! لِأراكِ الجَميعُ، وَأكونُ لكَ بِكلِّ طاقتيّ سَنداً وَحُبّاً

عوضاً عنِ الجَميعِ!

أعدك.

مساءً الليلة

أجلسُ مُتأملَةً

الغروب، بدونك.. تمرّ الدقائق..

كأنّها أعوامٌ.. الدقيقة سبعٌ وسبعونَ عاماً وتمرّ الأيام، عبثاً، كلُّ
يوم يبلغُ تسعٌ وتسعونَ عقد على طاولة احتوت صفحات مُبعثرة
فارغة حاولتُ مَلأها بك أرتشفُ قهوتيّ الباردة التي كانتُ ببرود
هذه الأيام من دونك وطيلتها لا فائدة فأنا أفشلُ مراراً أنظرُ
للسّماء بعمقٍ تجاوزَ عمقك في قلبي لأراها تنجحُ في ملئكَ بين
طبقاتها السّبع على هيئة غيوم كانت مصدر خيري في انتظار
قدوم جسّدك ليتسرّد مني طيفه الذي كان وحدتيّ الأزليّة.

في عتمةِ الأزقةِ كُنتَ تتجولُ على أطرافِ الشارعِ .. كانَ النورُ
يَمُرُّ مع حُطَاكَ.. نُورُ قمرٍ سرمدِيٍّ أَنارَ مجرةَ أضلعي، فقط أُودُ
أَنْ أَطْلَبَ منكَ أَنْ تَتَنقَلَ في ذاكَ الزقاقِ عسى أَنْ يُنِيرَ جزؤهُ
المنطفِئِ أيضاً.. نَسَمَاتُ الهوائِ العليلِ التي كانتَ تَجعلُ
حُصَلاتُ شَعْرِكَ تَتطايِرُ، لِتَجعلَ العِصافيرَ تُغرِدُ في كلِّ أَنحاءِ قلبي
الذي كانَ سماءً لكَ يا جميلَ العينينِ كانتَ ربيعِي.. أما عن
ضحكتِكَ تلكَ فقدَ كانتَ أشبهُ بطيرِ السَّنونو خفةً.. أَتتُ
مسرعةً لِتَسْرِقَنِي من نُدوبِ قلبي بعيداً لِأغرِقُ في تلكَ الحُفرةِ التي
بينَ شَفَتَيْكَ الرقيقتينِ.

أَظنُّ أَنَّ رموشَكَ تلكَ قد ازدادتْ عن الآوانِ الأخيرةِ التي تَمَعنتُ
فيها تلكَ العينانِ.. يا لجمالِ لَمَعَتُهُما! وردتانِ تَشعبتانِ في صفاءِ
وجهَكَ الذي كانَ ملجأً تَتَنزَهُ فيهُ أَجملَ النظراتِ.. أما بعدَ يا
قديسَ قلبي المدللِ أَحَبَكَ كما هائلاً بقدرِ ذاكَ البُؤسِ في هذا
العالمِ آخِرُ رجاءٍ؟! هَلَّا تَدعُني أَنفُسُ، هَلَّا تَضحِكُ يا ضحكةَ
الطفولةِ لِفُؤادي.

شامةٌ في عنقي

أسرّحُ

شعريّ فيتدلى ملامساً

كتفائيّ ليهبط كالليل

حاضناً خصريّ

تأتي أنت فأصنعُ

منه ظفيرةً تحتويك

من بؤسك وبؤس العالم

أحيكك ضمن

خيوط منه لتبقى

أيسر صدريّ

متراقصاً على

لحن النبضات

ليرقص كلّ منا في جوف الآخر.

شامةٌ في عنقي

قلبي هو

الكوكبُ

الثالثَ عشرَ

الذي

يُمثِّلُ

انتسابَ

مَلامِحِكَ

إليه

كشمس

وقمر

وسطاً

تبعثر

غيوم

سماؤه.

"نهاية العالم"

هناك حيثُ تبسّمُ أنتَ

وسط شفتيكَ كانت هُناكَ

حُفرةٌ صَغيرةٌ وَسَطَ ثَغْرِكَ أَظُنُّهَا

نهايةُ العالمِ ليِّ وأودُّ

لو يَتَمُّ دَفْنِي فيها أيضاً.

أرى في عيناكَ

العديدُ مِنَ المَجْرَآتِ

أريدُ مِنْكَ أَنْ تَحْتَوِيَ

خِرابِي بِأَحْداها، سَأَكُونُ

السَّلَامُ لِمَوْطِنِي فِيهِمَا وَإِنْ

لَمْ أَكُنْ كَذَلِكَ يَحِقُّ

لَكَ التَّهْجِيرُ.. هُمَا حَرْبِي

وَأنا المَهْزُومَةُ دَوماً.

أَحَبَهُ قَلْبِي كَشِدَّةِ جَمَالِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ ،
وَحُبِّ زُلَيْخَةَ لَهُ ، كَصَبْرِ سَيِّدِنَا يَعْقُوبَ ،
وَكِعْظَمَةِ ابْتِلَاءِ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ ، كَرَحْمَةِ الْإِلَهِ
عَلَى عِبَادِهِ ، أَحَبَّبْتُهُ بِقَلْبِ إِمْرَأَةٍ عَقِيمٍ رَزَقَتْ بِطِفْلِ بَعْدَ عَشْرَةِ
أَعْوَامٍ مِنَ الْعُقْمِ وَالْخِيَابِ وَالصَّبْرِ وَالِدُّعَاءِ
بِقَدْرِ ذَلِكَ الْبُعْدِ .

عندما أُلجأ إليك لأنني أراك الجميع لا ترحل، لا تكن كالجميع..

عندما يخذلني كل العالم وأثق بك رغم كل الخذلان لا تستهن
بالأمر أو تلك الثقة وتخذلها..

عندما أخبرك أنك شمسي الوحيدة لا تغيب، لأن غيابك لا
يفرق بين النهار والليل..

عندما أجعلك قمري في كل تلك العتمة لا تنم قبل أن تكون
شمس تنير بصيرتي.. عندما أرفض الجميع من أجلك يكفي أن
تقبلني..

عندما أضحي بكل ما أملك لأجلك يكفي أن تضحي بمسافة
صغيرة لنا في خطط حياتك حينها أكون لك الجميع وتكن لي
كل العالم لربما سوية نجتاز كل تلك المسافة فأنت أول من يذكر
في مطلبي ودعائي.

_أمامَ مرآتي اللّعيّنة،

القَدِيمَةَ تِلْكَ كُنْتُ أَرَى

حُطُوطَ وَاثِنَاءَاتِ وَجْهِيِّ الَّتِي غُمِرْتُ بِالْبُؤْسِ

دَوْمًا كَسْوَادِ ثَوْبِ أَرْمَلَةٍ عَجُوزَ هَرِمْتُ وَلَمْ تَعْرِفْ

سِوَى أَنْ تَبْكِي أَلْوَانَهَا الْمَسْلُوبَةَ رُغْمًا عَنْهَا كَانَتْ تَعْتَلِيهَا

ضِحْكَةُ طِفْلِ مُتَبَسِّمًا، مُتْلَهَفًا بِقُدُومِ وَالِدِهِ بَعْدَ غِيَابِ

أَظُنُّ تِلْكَ الضِّحْكَةَ أَنْتَ، لِتَحُومِ كُلِّ الْفَرَاشَاتِ حَوْلَ وَجْهِيِّ

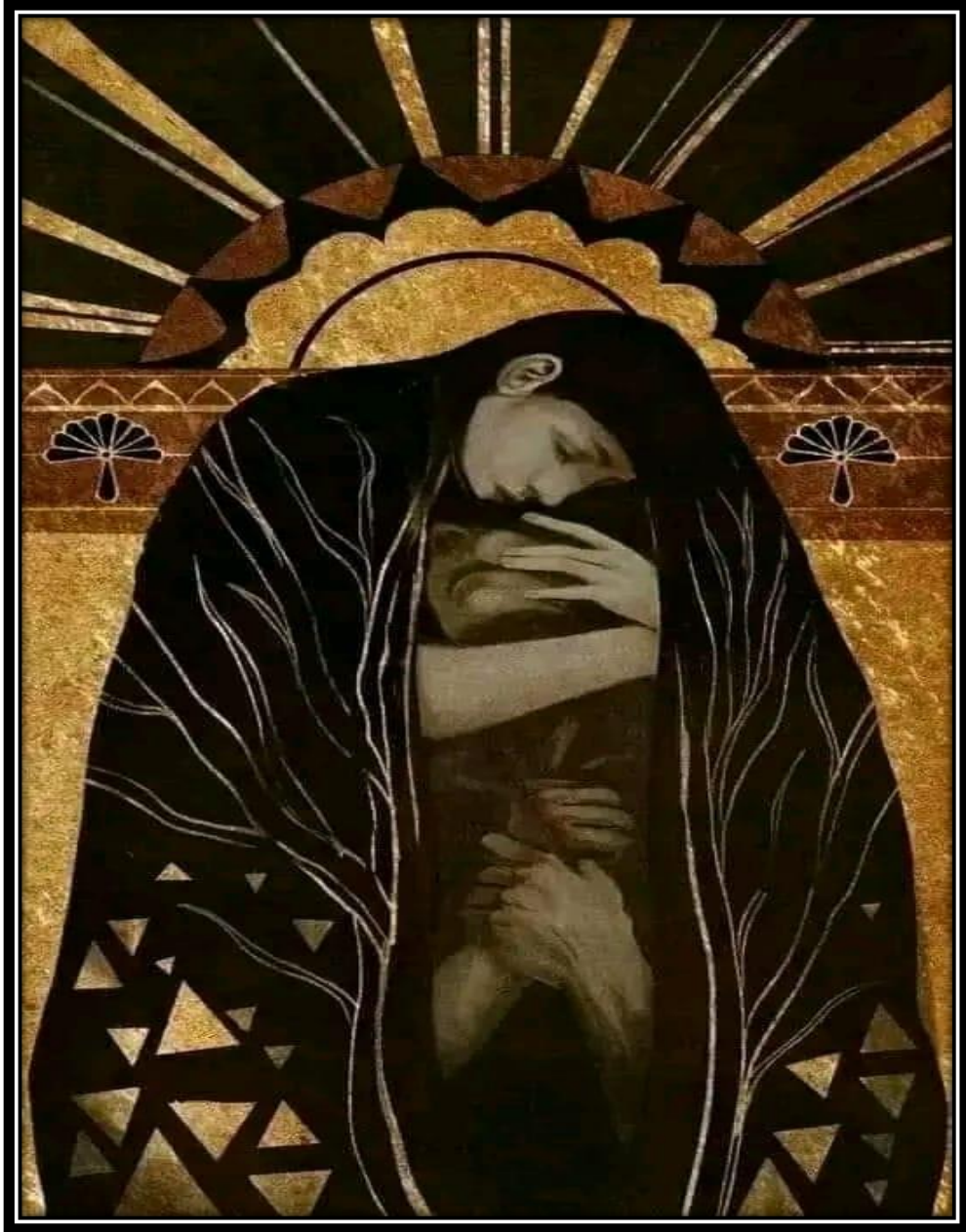
الْمُتَبَسِّمِ بِكَ يَا بَتْلِيّ الْوَرْدِيَّةَ..

كَنَجْمَةٍ فَلَكَيَّةٍ صَغِيرَةٍ ضَمَّهَا مَدَارٌ، كُنْتُ تَضُمُّ بُؤْسِيّ بِإِنْتِمَائِكِ

تِلْكَ الْمَلَامِحُ وَجَعَلِهَا أَكْثَرَ دَهْشَةٍ.

عِينَاهُ قِنْدِيلَانِ مُنِيرَانِ فِي عَتَمَةِ غُرْفَتِي أَرَاهُمَا بِقُرْبِي يَحْمِيَانِي مِنْ
كُلِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُحِيطُنِي، مِنْ عَزَلَتِي وَوَحْدَتِي، أَشْقِرُ بِقُرْبِهِمَا أَنِي
أَعُودُ صَغِيرَةً جَدًّا، إِلَى أَنْ تَهَبَّ عَاصِفَةُ الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ وَتُوقِظَنِي مِنْ
وَهْمِي الْمَسْلُوبِ لِأَعُودَ عَجُوزًا هَرِمَةً فِي مَلَامِحِ شَابَّةٍ عِشْرِينَ
إِنْتَمَتْ مَلَامِحُهَا لِلإِرْهَاقِ وَأَسْبَابِهِ.. عَجُوزًا تَحْتَضِرُ جُوعًا
لِلْأَمَانِ.. لِلْإِطْمَئِنَانِ.. لِلحَنَانِ.. لِلْمَكَانِ.. لِلْأَحْلَامِ..
لِلْأَوْطَانِ..

لِلحُرُوفِ الْمَلْفُوظَةِ بِصَدَقٍ وَعُغْنَفِوَانٍ، أَلَمْ أُخْبِرْكَ عَنْ حَالِي فِي
غِيَابِكَ أَيُّهَا الْجُرْحُ وَالسَّلَامُ.. كَثِيبَةٌ، هَزِيلَةٌ هَرِمَةٌ مِنْ دُونَكَ لَا تَنَامُ
لَا الْعَيْونُ وَلَا الْأَجْفَانُ.



أريدُ نصفك الآخر الذي لا يُحبّه أحدٌ كي أُحبّه بكلِّ
ما فيني، هاتِ كُلّ متاعبك ومخاوفك قلبيّ يضيّقُ بالجميع لكنّه
بالكادِ متسعٌ لك وكتفٌ وجدار!

وأنتَ، لو سُكِبَ العمر ابريقه بيننا،
ونسي كل منا في الآخر موطئ قدمه،
سأذكر زُغمَ التعب أنّ ما كان لوجه غير
وجهك أن أعرف منه:
كيف لقلبٍ ما أن يقع في الحُب،
دون أن يجرح ركبتيه.

أنتَ حتى لو تظهر

في أحد كوابيسي

ستبدو رزيناً .. جميلاً

وستُهدئ من روعي!

لدي صورة لك،

أُحارب فيها

وجوه الرجال

وأغلب كثيرهم

بتفردك.

إن عدتَ فجأةً ووجدتني نائمةً لا تُوقظني

ربّما قضيتَ عمرًا في انتظارِ اللحظةِ

التي أغفو فيها...

قرأتُ أكثرَ من كتاب

إذا عدتَ ووجدتني ممددةً على ظهري

يداي متشابكتان على بطني

لا تهز ذراعي، لا تمسد شعري

لا تنادني لا تقل آسف أو أحبك

فقط أغمض عيني بأصابعك التي تعرف

كيف تعيدُ لي الحياة.

لم أستطع أن انام من شدة الازعاج

كلما أغمضتُ عيني بدأوا يطرقون في المسنمار

ويعلقون صورة لوجهك.

تعالَ إليّ

ولو على

هيئةِ رصاصةٍ

في صدريّ،

فإنّي أحبّك حدّ التعب.

مُنذُ غيابِكَ

حتّى الآن

وأنا أنامُ

في بروازِ

صورتِكَ التيّ

لا دفأً ليّ

سوى حدودُها.

دعني أُخَبِّئَكَ شامَةً في عُنقيِّ.

لِتَكُنْ أَنْتَ السَّمَاءُ، وَلِأُحِبِّكَ بِكُلِّ تَقَلُّبَاتِهَا... سَمَاءِيّ !



شامةٌ في عُنقي

ذاتَ يومٍ سأهمسُ لكِ أنّك الحياةُ التي أفنيتُ أيامي في انتظارها
بكلِّ صبرٍ وحبٍّ، بينما تكونُ منشغلٌ في الغرقِ بين أحضاني.

:13pm10

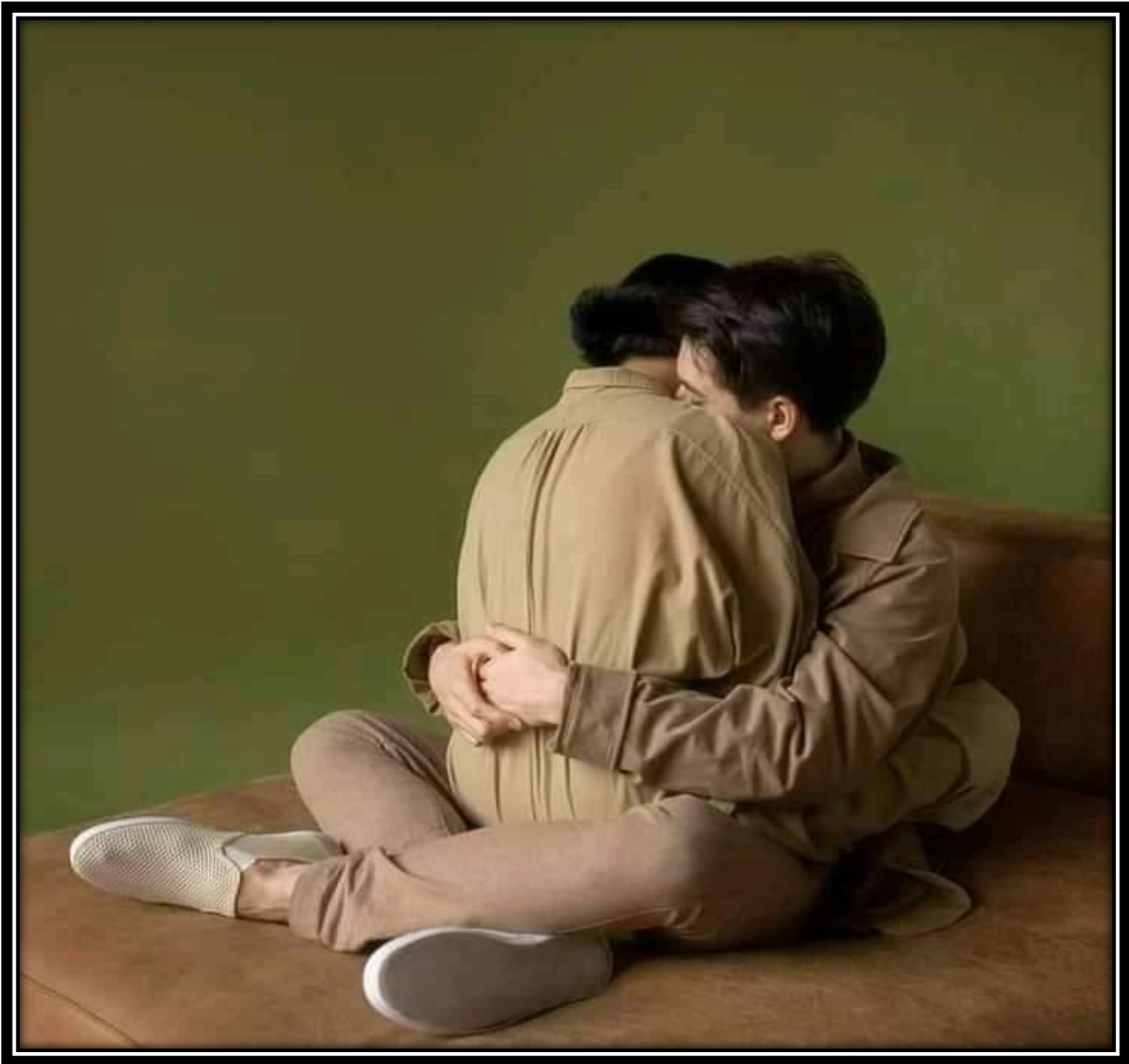


شامةٌ في عُنقي

ضجيجُ رُوحِي يُلزِمُهُ عناق، عانقنيّ !

الأماكن هُنا كُلُّها مسرورةٌ بوجودكَ معي، دعنا ننتفقُ !؟

أنتَ كُلّ الأماكنِ..



مُنذُ أَنْ عَرَفْتُكَ وَأَجْنَحُهُ قَفْصِي الصِّدْرِي تَحْتَضُنُ بَيْنَهَا شَمْساً
تَضَّخُ أَشْعَةَ النُّورِ فِي وَجْهِي.

بُوصِلْتِي تُشِيرُ إِلَيْكَ دَائِماً، كُنْتُ جِهَاتِي الأَرْبَعَةَ دَوماً وَخَارِطَةً
نَجَاتِي عِنْدَمَا حَاوَيْتَنِي أَمْوَاجُ التَّعَبِ مِنْ جَمِيعِ الجِّهَاتِ.

مادّتي الوراثيّة ال "DNA" ابْتَدَتْ بِ حَرْفِ ال "D"
اِخْتِصَاراً لْجُمْلَةِ.

"Don't leave me "

_لا تتركني.

وَكَانَتْ تَحْتَضِنُ أَوْسَطَهَا حَرْفِ "N" اِخْتِصَاراً لْ

Never forget you

_لن أنساك أبداً

تَمَمُوا قُدْسِيَّتَكَ تَزَامِناً مَعَ أِبْجَدِيَّةِ تِلْكَ المَادَّةِ

فِ أَصُولِهَا أَضْلَعُكَ وَأُصُولُكَ رَحِمُ قَلْبِي...

أَمَّا عَنِ نَهَايَتِهَا بِحَرْفِ "A" كَانَتْ يَحْتَضِنُ دَاخِلَهُ جُمْلَةُ

"A lot of tiredness"

_الكثير من التعب للقاءنا .

يقولُ ليّ أَحَبُّكَ، لينهضَ من رَمادِ رُوحِيّ جناحانُ ينتشانُ كالانا
من مُرِّ المسافات

شِتاؤُ أضلعيِّ قاسٍ، ارتدينيِّ!

بينَ قيودِ ذراعَيْكَ حُرِّيَّتِي.



شامةٌ في عُنقي

تركيني لحالي!

— وهو؟

هو حاليّ.



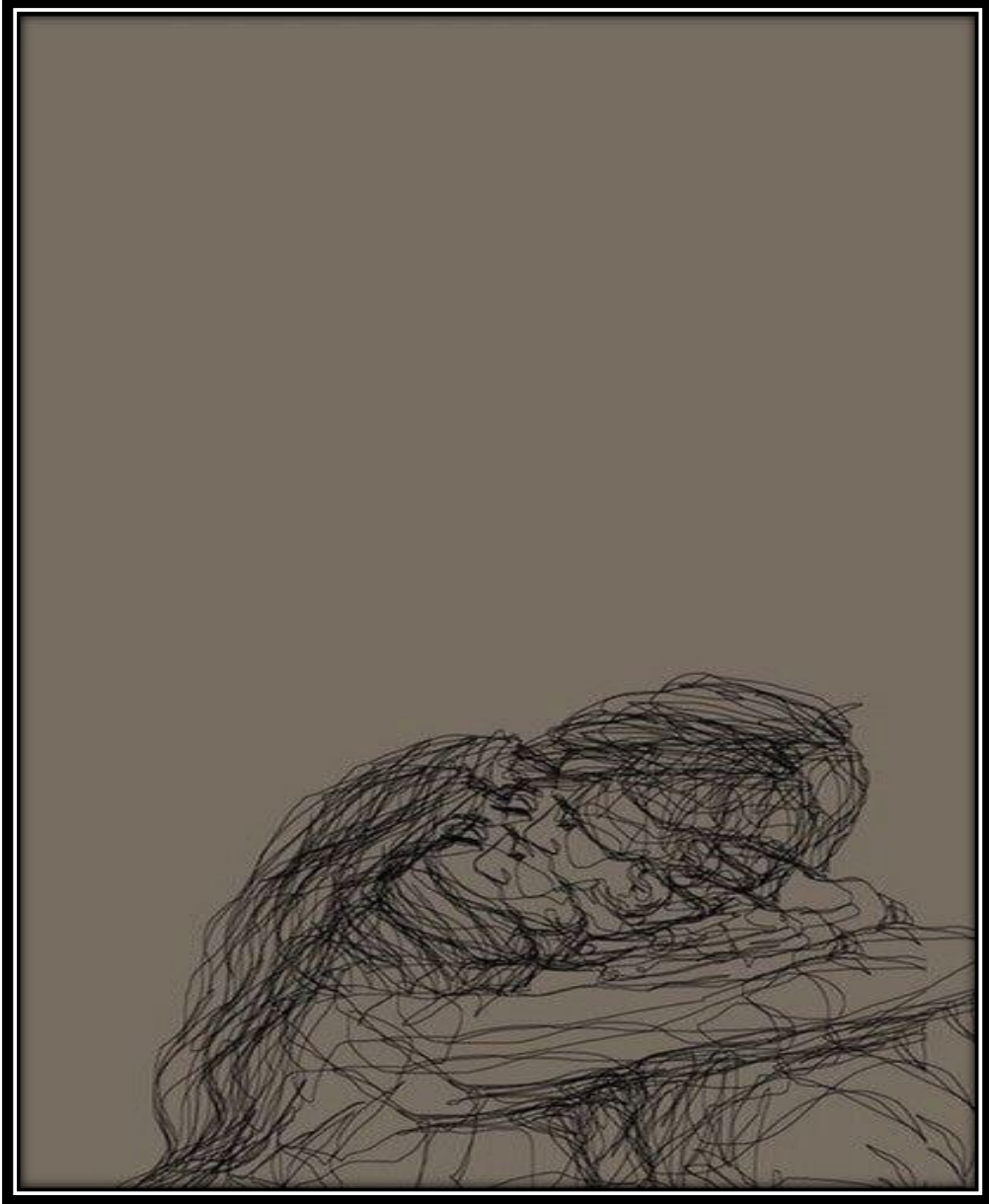


أيها البعيدُ في المسافة، القريبُ جدًّا من القلب،
أناديكَ وأنا وطنٌ يفيضُ بالأمانِ لكَ وحدك،
وكلِّي يقينٌ بأن تتشابكَ رموشنا ذاتَ يومٍ بعيداً عن اكتظاظِ
العالمِ البائسِ هذا .

وطنٌ لكَ يأتيكَ ولا ينتظرُ عودتكِ إليه،
في حضرةِ غيابكِ جزءٌ منه مفقود
ربّما قلبيّ لذلكَ أحببتُك بكلِّ خلاياي ..
روحيّ تُجهضُ الحروفَ من أجلِ أن ترويكِ بأطفالِ حبّها، لا
مفرّ سوى إليكَ وحدك.

طيفكَ يلتحمُ بها و يزيدُها حبًّا و تعمّقاً في رغبةِ استعادةِ
جسدكَ البعيدِ عنه و لا شيءَ يبتزُّ تلكَ الرّغبةَ لا الأشخاصَ ولا
الطُّرقاتَ ولا الغياب .

في انتظاركِ دوماً "ففيّ حضرةِ غيابكِ جزءٌ من القلبِ مفقود"



بينَ كُتفائِي مساحةً صغيرةً لا تتسعُ لأحدٍ لكنّها بالكادِ تتسعُ
لأحزانك،

لمزاجيتك....

ولمتاعبك....

لكلّ الأمورِ الثرثرةِ التي أزعجتك و اتهمك الجميعُ بالمبالغةِ
بها....

لدموعك أيضاً....

ولمخاوفك التي تُربكك....

أحضانِي دارٌ وديارٌ لها ولكَ حتى الفناء يا وحيدَ الفؤاد.



أعلمُ أن كُـلَّ الطُّرُقَاتُ أتعبتكِ و كُـلَّ الأشخاص، هاتِ أخطاءكِ

كُلِّها أريدُ أن أُقبِّلها!!!

لا تخف، أنا هُنا.

تعالِ سأفرشُ لكِ قلميَّ!



أنا شخصٌ فوضويّ،

غريبٌ بعضَ الشّيء،

مهووسٌ و لديه الكثير من

الأخطاء ومُبَعَثَر، ربّما سيّء وخائف

مُتقلّب المزاج وسوداويّ في غيابك

لكنني أخشى عليك بشكلٍ جنونيّ حتّى من ذاتك،

و أحبّك حاضراً وغائباً، وأتمنى لو أمكن ليديّ التقاطك وغرسك

في تلك المساحة الصغيرة التي حدودها كتفايّ وضمّ تعبك

ومخاوفك كلها في قلبيّ الذي رغم هلاكه لا زال هويّةً لغُربتك

ومنبعُ أمانٍ وملاذٌ لك.



كَانَ يَظُنُّ أَنَّ رَسَائِلَهُ لِيَّ مُجَرَّدَ حُرُوفٍ

لَكِنَّهَا كَانَتْ تَعْنِي الْكَثِيرَ!

كَانَتْ تُرْتِّلُ لِيَّ نَبْضَةَ قَلْبِهَا آخِرَ وَرْتَةٍ ثَالِثَةٍ

كَانَتْ نُورًا يُورِّدُ عَتَمَةَ مَبْسَمِيَّ

كَانَتْ شَهيقَ.



لعنة الصّمت تُصيبُ الأشياءَ ، باستثناءِ ثغرها المملطّخِ بأحمرِ
الشّفاهِ الكرزيِّ الذي لا يتوقّفُ عن نزعِ الكلماتِ على هيئةِ
فراشاتٍ من حقولِ الأقحوانِ التي تكمنُ في ثنايا قلبها ،
عندما يتملّقُ يُحرّكُ نيرانِ داخليِّ ، يفتني كما تفعلُ الخطيئةُ
ووسواسي في نفسي ، يُثيرني للجنونِ و يُهدئ وحشيَّ المشجونِ .
تقتربُ يداها من قميصي وكأَنَّها لم تُخلقِ سوا من أجلِ فكِّ أزرارهِ
تندفعُ أنفاسي لتحتضنَ أنفاسها كما تحتضنُ عُروةَ القميصِ زر .
تترسّخُ في جوفيِّ كما لو أنّها خمراً في زُجاجةٍ فارغةٍ ليجعلها
باهظةً الثمنِ أفرغُ مني و امتلئُ بها كما تفرغُ السّماءُ من اللّيلِ
ويسودها ضوءُ النّهارِ ، أحاولُ أن أنسجَ من خُصلاتِ شعرها
معطفاً يُهدئُ جنونَ هذه الليلةِ الباردة ، أن أضعَ نبضاتي في
أجراصِ صغيرةٍ مُقيّدةٍ في خلخالٍ كلّما مالت بِحصرها الرّنانِ
أشعلتُ نيراني .



أعتذرُ لك :

نيابةً عن الأصوات المزعجة التي تمنعك من النوم لفترة أطول
وأخذ قسطاً من الراحة.. عن الغرباء الذين اتدعوا الصداقة
بغرض استغلالك في مصالحهم.. عن الحرب التي سرقتك من
أحضان والدك .. عن صُراخ والدتك في وجهك والتلفظ
بكلماتٍ لم تقصدها لأنها في حالة الغضب ولكنها أمتك... عن
الخدوش الصغيرة التي أصابت أصابعك من العمل... عن الأيام
المريّة والخيبات التي كانت بلاء من الله لك فقط لأنه اشتاق
لمناجاتك ولكنها أطفئت جزءاً منك، عن أضرار القميص التي
سقطت وأنت ترتديه على عجلة.. أعتذرُ لك حقاً عن تلك
المشاعر المريّة التي تسببها، كل أولئك الحمقى تجاهك، والتي
تسببها أنا دون قصد أيضاً "عن الطرقات التي منعتك أنت
ومتعابك في الارتقاء بين أحضاني "...! وأحبك رغماً عن وجود
كل هذه الأسباب التي تجعلك تكره العالم وتكرهني وربما تكره
نفسك، إنني وبكل عمق أحبك عوضاً عن الجميع وعنها.

:43pm2

في عالمٍ مُكتظٍّ بالأناس المتعبون الممتلئين بالبؤس كانت كلتا
يداكِ جسراً أعبُرُ فيه مشقاتُ الأيام وأهْرُبُ عبرهما من بلادِ
لبلادٍ أخرى تخلو من الجميعِ و المرارة وتزدحمُ فيها حيواتُ كلينا؛
تُمازحني، تُلاطفني و تتلو كلماتك اللطيفة تلك على قلبي كآية
ليهدأ ضجيجُه كأنّها تُعانقُ أحياناً و أحياناً أخرى تُقبّله رويداً
رويداً .. كنت فرداً يُغني عن الجميع !

تُذكرني بدفءِ يداي الناعمتان عندما أرتدي قفازاتي الصوفيّة في
صباحِ يومٍ مُثلج .. في مظليّ التي كانت تمنع تسرب الأمطار إلى
سترتي و تجاوزها لتصلَ لجسدي وتُسببُ لي المرض .

أذكرُك دوماً حين تتيه فيني الطرق، كخريطةٍ أتخذُك في متاهة
عزليّ و كغريقٍ في منتصفِ زوبعةٍ ماء لا نجاة له سوى حبلك
أتعلم؟؟! يُحايلني الصمتُ حينما أبحثُ عن تفرّد كلماتٍ مميّزة
أصفُك وأنصفُك فيها و يُضاجعُ صمتي عدمٌ ممزوجٌ في كل
شيءٍ أحبه تحترقُ الثمانية وعشرون حرفاً في محاولاتي بأن أجعلها

تتفاعل لترسمك في سطورٍ تحتضنُ بعضها البعضُ كاحتضانك
لبؤسيّ رُغم المسافات .

وأظنُّ أنّ فشل تكوّنها كان لأنني استخدمتُ قلبيّ وعاءً
لتكوينها، دعنا نتفقُ على أمرٍ؟

أنتَ كلّ الأصدقاء ، كلّ أفراد العائلةِ وكلّ الملاجئ والأوطان و
هويّة اغترابٍ ليّ و كلّ حروفِ الهجاءِ أيضاً، حروفُ الهجاءِ التيّ
تخصُّ كلّ لغاتِ العالمِ لأنني لا أُجيدُ إنصافك أكثر من ذلك و
كيّ لا تتهمني بالمبالغةِ كعادتك عندما أصفُ لك الأشياء

دعنيّ أستبقُ الأمر وأصمتُ فمك الثرثار ذاك بأنّ المبالغةِ هذه
وحيها عينك، يُقالُ أنّ يوتوبيا هي كلمةٌ تعنيّ «مكان ليس له
وجود في أيّ مكان» سوى في أزقةِ ذاكرةِ الشخص ذاته.

أنتَ يوتوبيائيّ الآمنة التيّ خبأتها منذُ زمن ولا أريدُ أن أشاركها
أحد .

الفكرة السّرمديّة الآمنة التي لطالما قاسمتنيّ مشقاتِ ثرثرتي و
أحاديثيّ المملة .

لطالما تخيَّلتُ ابنيَّ منك ،لطالما حلمتُ بأنَّ الأقدار ستسوقُ
حيواتنا لبعضها لبعض وسنحظى بابنٍ يوماً ما، طفل صغيرٍ يحملُ
ملايحك الناعمة، ويرثُ روعةَ عُقدةِ حاجبيك، أنفك المستقيم
،وشعرك الحريريّ.

لطالما أتمنّى أن تُولدَ نطفةً حُبنا منك أنتَ يا من حُلقتُ من
ضلعه و ولدته من رحمِ قلبي .

ولازلتُ أثقُ جيِّداً بأنك مسعائي الذي ستطيبُ لنا أقدارُ الله
ونلتقيّ .

أحبك..

- في حال أنّك تبحث عن كثير من الأشياء ليراك بهم الجميع
مُبهر، إنني أراك الجميع وأرى أبسط محاولاتك إنجاز وتميّز و آملُ
أن يجتمع كلانا قريباً .

كلماتك معاطف، أجنحة ورُبّما أحضان... عانقني!

مأ وجهك مسدولٌ على كُـلِّ الملامح التي تُهرولُ إلى قُـزحيّتي؟

ابتسامهٌ ثغره مُعلّقة على أوتارِ قلبي، كُلمّا ظَهرت أربكتَ نبضي
وأحببتَ مسعائي في تخطّيك.

في اللقاء الأول لنا أعدك بأنني من سيوقظُ المنبّه وسأحتضنك
احتضانَ الرّوح للجسد، ألتحمُ بك التحامَ الغيثِ
للأرض، تفاصيلك حينها احتلائيّ وسأظلُّ أُقبَلُ بُرود قلبك الذي
لايُباليّ وأتركُ أثر قبليّ عليه وعلى وجنتيك لتنسى معي مُرّ
الليالي!

تلك النّسماتُ التي حرّكتُ مسارَ الغيومِ

وداعبتُ بتلاتِ أزهارِ الأُقحوانِ ولطّختها بالندى

وتلك الشّمسُ التي أحرقتُ عبّادَ الشّمسِ

وأعادتهُ لأُصولهِ بذرٍ في كيسٍ يُنقلُ في المحامِصِ من أجلِ أن

تتقاسمهُ أياديّ الفقراءِ للتلذُّذِ بهِ بينَ حكاويّ الماضيّ الممزوجةً

بالطّفولة!

رائحةُ البُنِّ و أصواتُ فيروز التي تَضجُ الصّباحاتِ،

الياسمينُ والحَبقُ و المنتور المبعثرينَ بين الكُتبِ على طاولتيّ المرتّبة

حُبزُ أميّ والحلوى التي تُعدّها

زُرقةُ السّماءِ، ونقاءُ الماءِ وضحكتيّ مع بعضِ الأصدقاءِ

عيناكِ وصورةُ لكِ تتضحُ فيها يداكِ

كلّها أشياءٌ مختلفةٌ أحببتها شكّلتُ فيّ عينيّ أربعينك

أنا لا أرى مثيلك، فليطمئنَ يقينك.

فتاةٌ عشرينيّةٌ في جوفِ هيكِها طفلةٌ تبلغُ الخامسة لا زالت

تُحبُ الدُّمى والحلوى

تبكيّ أباهَا، وتحضنُ أمّها

تُلوحُ للمسافرين

و تتلّهُفُ بقدمِ المحبين ..

تُشاهدُ الكرتون ،

تشتريّ البوالين، وتحاولُ أن ترسم بيت أحلامها بأقلام التلوين..

عيناها الكبيرتان تتسعان من شدّة السّعادة عندما يُنطقُ اسمها

بطريقةٍ مختلفةٍ..

فوضويّةٌ، مُشاكسةٌ

مجنونةٌ بعض الشيء وأحياناً خائفةٌ..

قويّةٌ جداً و بعضُ الأحيان تجعلها الأيام تشيخُ، واعيةٌ..

تُخطأ، تسقطُ.. تبكيّ، تضحكُ .. تنهضُ دونَ يد

و تُحبُّكَ حاضراً وغائباً.

تعرفني

بِكَاءة

مكسورة

حزينة

مُملّة

مُحبطة

غريبة الأطوار،

فوضويّة

أدفعُ الجميع بعيداً عنّي،

وأعرفُني..

بِكُلِّ أحوالي، أُحبِّكَ.

يوميّاً

أُغادرُ هذا العالمَ ألفَ مرّةٍ وأعودُ إليه

فقط من أجلك .

هذا البيتُ خالٍ منيِّ وممتليٌّ بكَ

إلى ذلك البعيد،
أحبُّكَ ف اقترِب.

مراحلُ نمو القمر تحتضنك ، فنقصُك هلال واكتمالك بدرٌ في
عينِ قلبي .

هجاؤُ ثغره معاطفٌ تُزملنيّ.

أنا من ضلعهِ وأصله من رحم قلبيّ

أخطأكَ السوداء وعيوبُكَ شاماتيّ.



لحظةٌ تشابكِ رمُوشنا، أشبكُ قلبينا وأغمركَ بينَ الثنايا لِتُبرعم
وتنبض من جديد ، كأنك تولدُ الخفقات.

وجهي نسيجٌ من أوراق الخريف ترويه قُبلا تُكَّ ليعودَ ربيعاً مُزهراً.

سجائريّ الستون ، و كُتبيّ المنتظمة على طاولتيّ .. الليلُ يُلطّخُ
المكان و صورتُكَ بقربِ كأسِ نبيذِ تُسكِرنيّ وتمنحنيّ نشوتيّ.

طيفُكَ وحشٌ مفترسٌ يلتحمُ في رُوحِي يُضاجعُها لتلدَ أطفالُها
نُصوصٌ وأشعارٌ لكُ قُرباناً لها .

هذه الليلة شاق بيّ الشوقُ كثيراً، ولكنّ الحبر لم يكفي ليظهرَ
على أصابعي وأكتبه لك .. فَبَكَيْتُ لعلّ الدّموعَ تفِيّ بالغرَضِ.

إضافة درويشيّة: أبكي بلا سببٍ واضح

وأحبّك أنت .. كما أنت .

أفيضُ لكَ بالحديثِ الصّامتِ
انا الممكتظةٌ بهجاءٍ ممتلىءٍ لا يُتلى.

أعرفُ معنى أن أُحيكَ ضفائرَ الحبِّ لعينيكَ من صُلبِ التَّعبِ.

أُتحيه؟

- يبدو أنّ قُربه ييؤُحُ بِالْحَادِ قَلْبِي.

ثُمَّ تَسَاءَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي

هَلْ تُحِبُّهُ؟

فَتَشَهَّقْتُ وَرَحْتُ أَصِيحُ بِلا وَعِيٍّ: نَعَمْ أُحِبُّهُ، أَحَبُّ الْهَوَاءِ الَّذِي

يَنْشَقُّهُ.

خَطُّ نَبْضِي الْمُسْتَقِيمَ تَعَرَّجَ إِجْلَالاً بِمَعْرِفَتِكَ.

أمتلكُ عِينانِ بُيْتانِ، إذا أتعبكَ الوقوف اسحب كُرسيَّكَ منهما
واسترِح!

كجرعةٍ حياةٍ تتخذُكُ رُفاتيّ.

رغبتِي بِكَ عارمةٌ جداً

رغبتِي بِحضورِكَ امرأةٌ مجنونةٌ تُشيرُها مرأةٌ عيناكَ لترقصَ كحُمَمِ

بُرْكانَ لا يهدأُ إلا بلمساتِكَ.

سرطانك ينتشرُ في تركيبةِ دميّ ويبدو أنّه وصلَ للنُّخاعَ بعدَ أن
التهمَ قلبيّ بالكامل.

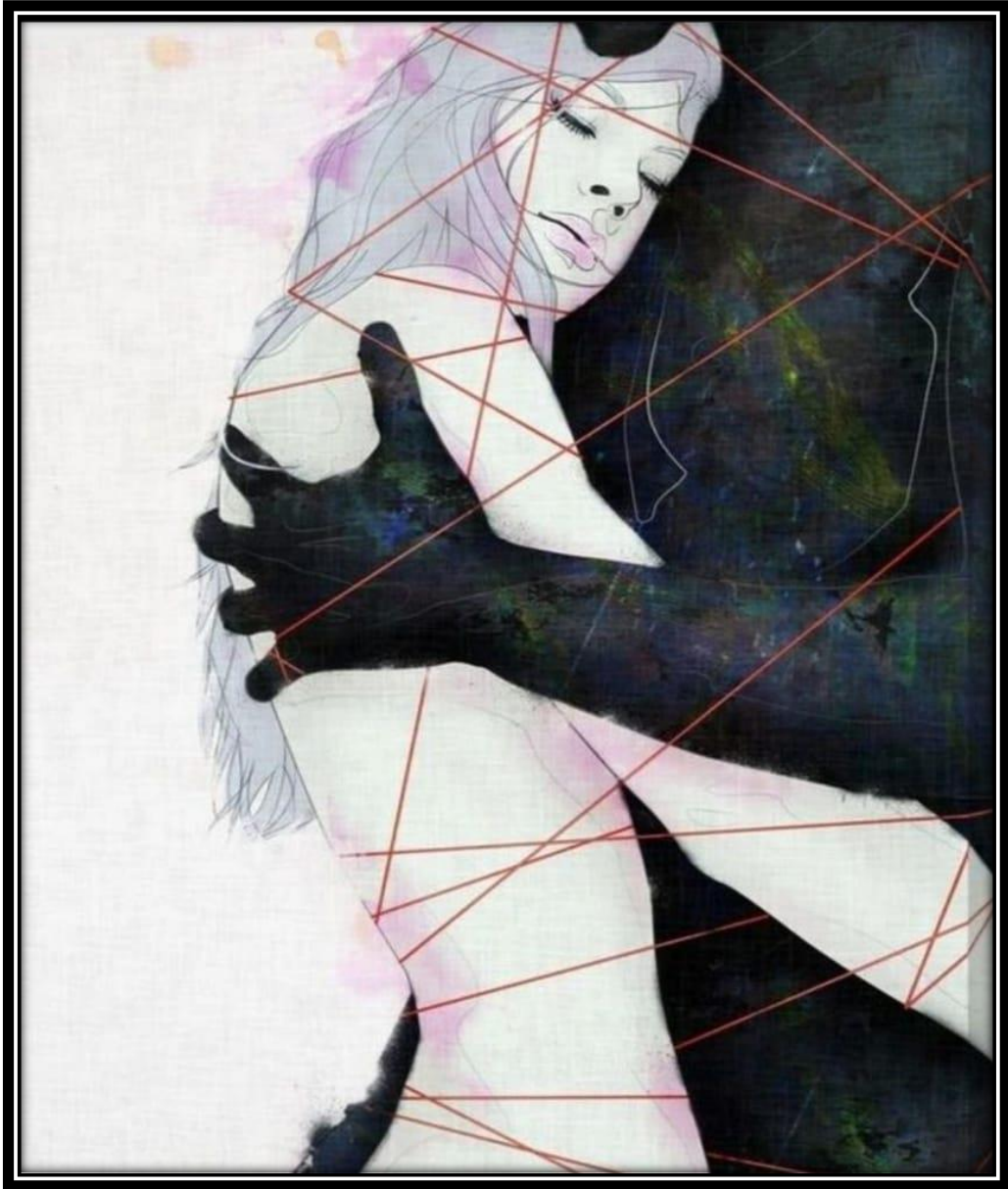
أنتَ الداءُ الوحيدُ الذي لا أُريدُ عقاقيراً من أجلِ زوالهِ وحتماً
أُهيئُ بهلاكِي به.

كملقَطِ شعرٍ يحتويُّ خُصلاَتُ شعريِّ بالكامِلِ أُريدُ أن
أحتويكَ.

رُموشُ عيناَيَّ غزيرةٌ من أجلِ تزميلِكَ، رُموشيَّ أجنحةُ فراشاتٍ
ستُحلِّقُ بكَ إلى عمقِ السَّماءِ.

في الحديقة كُرسِيّ وحيد إعتدتُ أن أجلسَ عليه وحيداً وأنا
أنتظرُكُ، وفي بعدَ أيّامٍ عندما ذهبْتُ كعادتيّ إلى هُنَاكَ!
وجدتهُ من شدّةِ شفقتِهِ عليّ ينتظرُ قدومكُ من أجلِ مواساتيّ.

أنا العقيمُ التي لن يُنجبَ رحمُ قلبها سِواك.



يشتكّي السُّكر دوماً مني لأنني أرتشفُ قهوتيّ خاليةً منه و ممتلئةً
بصدى ضحكيتك.

كانت العاصفيرُ في السّماءِ إيجاءَ على أنّك تبتسم..
و كانت عيناك أسرابَ نجومٍ كلما ضحكتَ ترتسم...
وشحوبُ وجهك ما زالَ رُغمَ الإنطفاءِ بدرًا مُكتمل..
أما حاجباكَ كانا جبلانِ راسخانِ لا يصلُهُما سوى الرّيحُ
والنّسيم..

ترسّخا في سماءِ وجهك الذي لم يعرف كيف يُزهر..
وفراشات تطيرتُ من شهيقك الذي لولاهُ لم تتبرعم..
و نسيجُ ليل تعلق أسفلَ ثغرك ليُمثّلَ حياةً كانت نبضةً ووتين.
أوحى لقلبي دفناً كأنها معطفٌ لمتشردٍ يتيّم.. لم يعرف البرّ ولكنّه
دوماً في الطّريقِ ومُتعبٌ، ضاعتْ أمانيه غريقاً لذا هو دوماً من
البحرِ خائفٌ.. كن له السّلامِ ولكلِّ كُلالِ الإبتسام.. عيناك سهرٌ
في ليلٍ مكنون.. عيناك أمانٌ ليّ من بحرٍ مجنون.. عيناك سحرٌ
تلاشى في البرّ كالفراشِ الحنون..

عيناك بيتٌ شعرٍ لم يعرف السُّكون.. عيناك لوحةٌ كانت من
أعقدِ الفنون.

الخاتمة

إلى بيروت !

أعيديه إلى أحضائي فلكلّ وطن أهله

إن لم يكن هناك وطنٌ ينتمي إليه فديار قلبي وطنٌ له، وطنٌ
لا ينتظرُ عودته بل يذهبُ إليه.

أنا إدلب من أجله ..

أحتضنه كاحتضانِ جلده له

أنا هويّة لغربته وكُلّ الملاجىء حين تحاوطه حدودك والمنافيّ